

ومعارك الحيوانات الضارية التي تريد أن تلعق دم الإنسان ، وبجانب كل هذا يوجد الأزهار والثمار والظلال ، وعلى الإنسان أن يعيش وسط تلك الغابة ، ويتحمل فحيح الأفاعي ، ومعارك الحيوانات ليظفر بالأزهار والثمار والظلال ، فالوجود قاس ، ولا يعيش فيه إلا من كان أقسى وأقوى من شرور وآلام الوجود ... فهي دعوة يطلقها المازني لتكون أقدياء ، لنقبل تحدي الوجود ، ولننتصر على قبحه وفساده وانحلاله .

### الصراع المجهض عند المازني

تتوقف جودة العمل القصصي على استكمال الصراع لكل مقوماته وقيامه على أسس تتوافق ومنطقية الغرض القصصي الذي افترضه القاص منذ البداية والصراع يمر بمراحل ليتشكل شيئاً فشيئاً في النهاية ، لتمثل ذروة الصراع أو الأزمة التي تقع فيها الشخصية المحورية أو الشخصيات ، لتواجه نفسها والشيء المتصارع معه ، ثم تبحث عن حل لتلك الأزمة أو تحاول الخروج من هذا الصراع .

ونوعية الصراع يجب أن تتوافق وطبيعة الشخصية ، حتى يكون الصراع حاداً ، ويلقي من الأبعاد والمعاني ما يبرزه بصورة واضحة جلية إلى الوجود .

وهنا درس سؤال إلى الذهن : هل نوعية الصراع هي التي تحدد أمزجة الشخصيات

أم أمزجة الشخصيات هي التي تحدد نوعية الصراع في القصة ؟

وعلى كل فيجب أن يكون هناك توافق ما بين نوعية الشخصية وتكوينها النفسي والمزاجي وفلسفتها ونوعية الصراع ، وإلا سيفقد حركته وتصاعده نحو الذروة ، ولن تتبلور حدة الأزمة على امتداد القصة ، وإن حدث هذا فستصبح الشخصية مطموسة الملامح والسمات ، ليست لها أي تميز أو تفرد .

والتوافق ما بين نوعية الصراع ونفسية الشخصية تجده - على سبيل المثال - وليس الحصر - في ( عطيل ) لشكسبير، فالصراع كان من أجل الشرف، ولا يعتز بالشرف ويغير تلك الغيرة القاتلة مقترنة بالدم سوى العربي، أو من تجري في عروقه الدماء العربية، لذلك نجد شكسبير يختار لدراميته شخصية عربية مغربية ليتصاعد الصراع متوافقاً مع نوعية الشخصية، ليصل إلى ذروته متمثلاً في قتل ( عطيل ) محبوبته ( ديدمونة )، كذلك في رواية ( قنديل أم هاشم ) ليحي حقي فالرواية عبارة عن صراع ضد الجهل، المادية العلمية ضد روحانية الشرق والشخصية التي اختارها ( يحي حقي ) لهذا الصراع شخصية تلقت تعليماً راقياً وثقافة رفيعة متصلة بأسباب العلم الحديث الذي لا يعترف إلا بالمادة، والعلة والمعلول، والسبب والمسبب، فالروحانية المتمثلة في زيت قنديل ( أم هاشم ) تتعارض لديه وهذا العلم الذي تلقاه، والروحانية التي توحى بقدره زيت القنديل أن يشفي العمى، تتعارض مع قوانين الطبيعة والمنطق اللذين هما قوام تفكير الشخصية الرئيسية.

وقرار نهاية أو حسم الصراع لابد وأن يكون بيد الشخصية موضوع الصراع وأن يكون نابغاً من تفكيرها ومكونات نفسيتها، لا تتدخل قوة خارجية لتنتهي الصراع لصالح الشخصية أو لغير صالحها، لأنه بذلك يكون صراعاً أجوف ليس له أي معنى، وألاً تنتهي الشخصية الصراع من خلال هروبها من أن تصدر قرار حل أزمة مصيرها أو وجودها ... فإذا حدث هذا يكون الصراع مستنفداً لأغراضه، أو قل هو صراع مجهض، لم يعط له حقه حتى يظهر معدن الشخصية، أو يظهر ما

يختفي في داخلها من مشاعر وأحاسيس لا تظهر إلا إذا تعرضت الشخصية لنار الصراع وشدة أوزاره .

والصراع في قصص المازني مجهض لا يصل إلى نهايته ، وترى الشخصية تخاف هذا الصراع ، فيه دائماً في هروب ، مثل الصراع في (إبراهيم الكاتب) أو أن الشخصية تنتظر من قوة خارجية أن تتحمل عنها نار الصراع وتتحمل عنها أيضاً قرار إصدار حسم الصراع مثلما هو حادص في ( ثلاثة رجال وامرأة ) .  
أو قد لا تجد هنالك صراع وإن وجد فهو أجوف ، لا عمق ولا بعد له مثل ( إبراهيم الثاني ) و( ميدو وشركاه ) و( عود على بدء ) .

### الصراع في ( إبراهيم الكاتب ) والبحث عن صياغة للوجود

تبدأ القصة بزيارة يقوم بها ( إبراهيم الكاتب ) لأقاربه في قرية من قرى مصر ، وأحداث القصة تبدأ في بيت خالته ( نجية ) وزوجها الشيخ ( علي ) ، وتعيش مع ( نجية ) أختاها ( شوشو ) و( سميحة ) . ونعرف عن ( إبراهيم ) أنه كان متزوجاً من قبل وتوفيت زوجته تاركة له ولداً ، وقد قضى قبل زيارته للقرية حيناً من الزمن مريضاً في المستشفى . أما سبب زيارته لأقاربه ، فيخبر به ( شوشو ) بعد أن ألحت عليه تستخبره عما حدث بالمستشفى ، حينما فهمت أنها ذكرى تؤله على حد قوله ، سأله ( شوشو ) :

- إبراهيم . ابن خالتي ! مالك ؟ ما تتكلم ! لست أفهم !

- ربما كان خيراً ألا تفهمي ؟

فأدارت إليه وجهها وقالت :

- ولكني لا استطيع أن أراك هكذا ! أأست بنت خالتك ؟ أم أنت تستصغرنني ؟
- كلا يا شوشو .
- قل لي إذن ولا تدعني أتألم من أجلك هكذا بسبب جهلي ما يؤلك .
- ماذا أقول ؟ لقد دخلت المستشفى لأتداوى من مرض فشفيت ولكني خرجت بمرض جديد شر ما فيه أنه لا طبيب له إلا .
- إلا من ؟ قل اسرع !
- لا اقوى على أكثر من هذا يا شوشو . بل أقول أنني ما أتيت إلى هنا إلا لتداوى ولكن بلا جدوى على ما يظهر .
- فجرى ببال شوشو خاطر لمحت إليه ومنعها الحياء والأدب والمحافظة على كرامة ابن خالتها أن تفصح عنه وجعلت تتمم :
- أ.... سامحنى ولكني أنت في حاجة إلى ..... ما
- فالتفت إليها بسرعة وقد ادرك غرضها ولم يدعها تتم الكلمة وصاح وقد فاضت نفسه بالإحساس المكتوم .
- يا بلهاء .
- وانطلق هاربا من الغرفة . وخلفها واقفة مبهوتة واجمة تحملق في أثره وفمها مفتوح من الدهشة حتى كأ نما أحوالها بصيحتها تمثالا للبلاهة ) .
- إذن سبب زيارته هي هرويه من حب ( ماري ) التي قامت على تربيته أثناء وجوده بالمستشفى ، والتي نشأ بينه وبينها علاقة من نوع ما ، وقد أتى إلى القرية ليتداوى .

أما لماذا ترك ( ماري ) بعد أن قامت بينهما تلك العلاقة لا سيما وأنهما يتشابهان في كثير من أمورهما ؟ في صفحة ( ٢٤ ) : ( وشاءت المقادير أن يتشابهما فيما وقع لهما ، فهو فقد زوجته وهي فقدت بعلمها ، وكل من القعديين خلفا وراءه طفلا . وفي كلتا النفسين ذلك الحنين المخنوق ) .

أما سبب الانفصال بين إبراهيم وماري ، فيوضحه في صفح ( ٢٥ ) : ( واستمرت العلاقة بينهما بعد أن بارح المستشفى إلى بيته ، وكثرت المحادثات بينهما بالتليفون والمقابلات ، غير أن الإرادة التي وهنت مع المرض ، عادت مع الصحة ففطن إبراهيم إلى ما في علاقتهما من الحرج ، وأدرك أن الأمر يوشك أن ينقلب مشكلا ، ورأى انه لا يستطيع أن يرضاها زوجة ، وأنها تطمح فيما هو أسمى من مرتبة الخليفة ، وهبها لم تطمح فإن ذلك لا يحل مشكلة حياته ، ولا ينيله مآربه ولا يبلغه ما يتمنى من السكون إلى الحب المنزلي الذي لا يعدل به شيئا ) .

فقد أعطانا إبراهيم مبررا لنشوء تلك العلاقة ، وهي ضعف إرادته أثناء مرضه حتى إذا شفي وعادت إليه الإرادة ، زال مير وجود العلاقة ، وقد شعر بالحرج فهو لا يستطيع أن يرضاها زوجة ، وإن لم يوضح لنا سبب ذلك ، ولا يرضى بها خليفة ، لأنه لا يعدل عن الحب المنزلي ، أي الحياة الزوجية الهادئة . ونلاحظ أن المتحكم والمتحدث هنا هو العقل ، لأن نفسه ما زالت تصبو إلى ( ماري ) وإلا لم الهروب ؟

وتبدأ مشكلة إبراهيم هنا ، هاربا من وجود لا يرضاه ، ولا يرضى عنه ، باحثا عن وجود يصبو إليه وإن كان في طي الغيب ، وإن كان في الوجود المهروب منه ما يبحث عنه ، ولكنه عسى أن يجد في البحث بغيته ، أو هو يسمو إلى الأفضل

والأحسن ، فتلك - ماري - تزوجت وأنجبت فلعل الأقدار تقيض له ما لم تتزوج ولم تنجب ، أو هو يعشق البحث الدؤب عن الوجود الذي يطمئن إليه وتسكن النفس له ، فبداية القصة تبدأ بالبحث ، والنفس الباحثة يضطرب فيها شعور القلق ممتزج بالتوتر والتوقع والاستشراف ، يبحث عن منوال لينسج عليه وجوده ويجده في شوشو .

ونشعر هنا بأزمة الشخصيات ، تلك الأزمة التي يشعر بها الإنسان حينما يكتشف أن هناك قوة أخرى تصنع وتشكل وجوده ، وأنه مجبر على قبول هذا الوجود في نهاية الأمر ، ويشعر أنه أدنى مرتبة من الحشرات الدنيا التي تشكل وجودها وعالمها بنفسها ، وتلك القوى هي العادات والتقاليد والعرف والقوانين التي تتحكم فينا ، وتتولى مهمى صنع حياتنا ، كي تجنبنا عناء التعب !

فالصراع هنا - كما سنعرف - ضد وجود قد شكّل من قبل ، بمواصفات جاهزة ، والشخصية ترفض مثل هذا الوجود ( المحفوظ ) في علب الملل والسأم وتبحث عن وجود آخر ، هو الوحيد الذي يقوم بصنعه وتشكيله .

وحينما أحست ( شوشو ) بقوة إلحاح عاطفة الحب على نفسها وجسدها وأعصابها ، أرادت أن تصارح إبراهيم بتلك العاطفة ، ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟ فجبال التقاليد الراسخة وصخورها العتيقة تمنعها بمصارحة إبراهيم وهي متيقنة من حب إبراهيم لها ، ولكن حبال وخيوط التقاليد المبرمة تعقد لسانه أن يبوح لها بحبه هو الآخر . تقول في صفحة ( ٧٤ ) : ( وهالها أن تشعر بالوحدة في هذا العالم الزاخر ، وأن ترى إلى أي حد أرضاها حبيها لإبراهيم مستفردة ، وفي هذه اللحظة فقد أدركت أن حولها أربعة جدران سميقة ، وأن هذه الجدران الأربعة

- من ورائها ومن قدامها وعن يمينها وعن شمالها - محيطة بها مسدودة عليها  
حيثما تكون من الأرض . لماذا خلقها الله في مصر؟؟ لماذا يضرب عليها الشقاء ؟  
حتى إبراهيم لا يسعها أن تذهب إليه وتقول له : (إني أحبك) كلا! هذا أيضا  
مستحيل . لأن التقاليد تأتي ذلك وأنها لوائية الآن أن إبراهيم يحبها وأنه يتمنى  
لو استطاع أن يعلن لها حبه ، ولكنه مثلها لا تقيد لسانه التقاليد والآداب . وما  
أدراها؟ لعله الآن - في هذه اللحظة بعينها - تؤرقه الحيرة والكمد إلا أن في هذا  
العزاء لقلبها ) .

فتلك نفس تحاول أن تنطلق ولكنها مقيدة بسلاسل من عادات وتقاليد  
إلى أرض عالم لا تستطيع أن تشعر بين جدرانها بدأتها . بل هذا العالم بقوانينه يحرم  
عليها مشاعرها وأحاسيسها التي بغيرها لا تشعر بذاتها ، فهو عالم يؤد أعز ما يملكه  
الإنسان ، لذلك تشعر بالغيرة ، وتدفعها آلام تلك الغربة إلى رفض العالم والبحث  
عن عالم آخر . أم أن حتى هذا البحث تحرمه عليها قوانين هذا الوجود !

وشعر إبراهيم بما يشعر به شوشو ، ويترجم أمره في صفحة ( ٧٨ ) : ( لقد تحول  
حبه لشوشو من اخوي إلى جنس ، ذلك ما لاشك فيه ، فهل له أن يأمل أن يفوز بها  
وأن يقنع أهلها أن يزوجه منها؟ كلا! فإن في الطريق تلك البنت الخبيثة التي  
لا تحجم عن كل شر إذا هم أهلها أن يقدموا عليها شوشو عليها ، وستكون النتيجة  
أن تشقى شوشو وهي ستشفى على الحالين ن ولكن أهون الشرين أن تياس من  
الآن ، والعاطفة غضة لم يستفعل أمرها ولم يستعص علاجها ، وهو؟ أوه . ليست  
هذه بأول عاطفة احتاج أنيخنقها! وأنه لعذاب وانه ليحس كأنما يقتلع أحشاءه  
مع العاطفة التي يحاول أن ينتزعها من قلبه ) .

ولكن لماذا دأب إبراهيم على خنق عواطفه ؟

أذلك لأن أو المكان الذي يعيش فيه أضيق من أن يحترم مشاعر وأحاسيس

الإنسان ؟

وفي هذا المكان لا بد للإنسان أن يتنازل عن بعضه كي يسعه المكان ، وإلاَّ  
ليبحث عن مكان آخر يجد فيه متسعاً لإحاسيسه ومشاعره ... عالم لا يحجر على  
الإنسان ويقيده بقيود من الجهل والغباء .

وتلتقي النفسان - إبراهيم وشوشو - في حديث يكشف عن حدة هذا الصراع  
وإن كان في جانب إبراهيم أشق وأحد ؛ لأنه أكبر سناً وأكثر تجربة ن وهو المسؤول  
عن الحد الذي وصلت إليه شوشو ... بقول في صفحة ( ٩٠ ) ، ( إني أكبر منك سناً  
وأكثر تجارب ، ولم يكن من حقي أن أدع الأمر بيننا يبلغ هذا الحد ن وعلى أن لك  
على صغرك وغبارة سنك وقلة خبرتك ، من الذكاء ما يعينك على التقدير السديد  
والنظر السليم وأني لأعلم كما تعلمين أن بيننا ... تفاهماً مباركاً .. ولست أعتقد أن  
بين اثنين سوانا مثل هذا التعاطف الطبيعي كلانا خلق لصاحبه ، ولكن لهذه الأمور  
مقتضياتها مستلزمات لا مفر منها نولا معدى عنها ، إذا لم يكن الزواج هو المصير  
فليس يجوز أن ينشأ بيننا أو يظل مثل هذا التفاهم ، إنه تحد للطبيعة : أن يتحاب  
اثنان ثم لا شيء . الشأن شأننا في الحقيقة والأمر لا يعني سوانا ولكن الأيام مقلوبة  
والعادات والتقاليد سخيصة منافية للعقل والواجب . صارمة أيضاً . ونحن نوشك  
أن نحدث في سورها ثغرة .. أن نقتحم الحصن المنيع الذي بناه الجهل . ولست أراك  
تقوين على ذلك ولا أحسبني خيراً منك . ينبغي أن نفتح عيوننا . عاجلاً أو آجلاً أنا  
أوثر أن يكون ذلك آجلاً . وهو أحلى وأعذب وأندى على النفس ، ولكنه لن يكون

إلا حلما مهما طال . ونحن ننسى أحيانا مصير كل شيء لا يساير التيار ولا يوافق الزمن ولا يطابق روح الأيام وإذا كان لابد من التحطيم على صخور التقاليد فليكن ذلك ... اليوم ) .

### الانكسار في شخصية إبراهيم :

والصراع هنا يكتسب لونا خاصا من خلال شخصية إبراهيم ، فهو يتعامل مع خطوط وجوده تعاملا عقلانيا ومنطقيا مع عالم يعرفه أنه لا يحكمه عقل ولا منطق ، فإن لم يكن زواجا فلا يجب أن ينشأ بينه وبين شوشو أي علاقة من أي نوع ما ، ويعي أن هناك صدام وصلاع بينه وبين هذا العالم ، ولكنه يرى نفسه دون هذا الصراع ودون هذا الجهاد والكفاح ... فلا هي تستطيع الصمود لتحطيم هذا الوجود الذي يعارض رغبتها وإعادة صياغة وجود يحترم أول ما يحترم مشاعر الإنسان ، ما دامت قائمة على أساس من الحب ، ولا هو يستطيع ذلك ... وهو لا يواجه الوجود مواجهة صريحة بل يخضع له ويؤمن بحكمه ويوافق على مقدراته ليس هذا فحسب ن بل يأخذ على عاتقه أن يمحي أي إرادة لدى شوشو تدفعها للتمسك بحبه ، ومقاومة تلك العادات والتقاليد ، قول شوشو : ( ... لا أقدر ... لا أقدر مرة واحدة ... كلا لا أقدر ) .

فمسح لها شعرها في رفق وقال : ( لابد ... وغنك تعلمين ذلك أن نكسر قلبينا ) .

ويظل يحاول اقناعها ، حتى تقتنع بالتخلي عن حبها له والتسليم لقوة العادات والتقاليد ... وهو إن أدار الأمر في ذهنه أو كان يميل إلى احتمال قوة الصراع والصعود معه حتى الذروة لكان أثر الصراع وإن أب بالفشل ، لأنه

في الحالتين سيترك شوشو ، بل قد يظفر بها في نهاية الصراع ضد العادات والتقاليد وضد رغبة ابنة خالته ( نجية ) وضد إلحاح وإصرار ( سميحة ) للتزوج به ، وضد رغبة الدكتور ( محمود ) للتزوج من شوشو..ولكنه لا يقدر على الصراع ويؤد - متعمدا - كل شعور وإحساس يضيفي إلى وجوده معنى ساميا .

وبلخص إبراهيم انكسار وهروبه من مواجهة ما يعترض طريقه ، في صفحة ( ١١٢ ) يقول : ( ونهض إبراهيم يتمشى ، وراح يتصور المستقبل المظلم الذي قسم لشوشون سيزوجونها يوما ما واحداً لا تعرفه ، أو تعرفه ولا تحبه ، واحداً كالدكتور مثلا فلا تجرؤ أن ترفض وهبها استطاعت أن تجترئ وحبست نفسها عن التزوج ، فإن هذا لا يكون أقل قسوة ، ولماذا كل هذا ؟ لانه هو - إبراهيم - أقنطها ودعاها إلى اليأس وزينه لها على الرغم من حبها له ومن حبه لها . فهل من حقه هذا ؟ هل تجيز رجولته له أن يتخلى عنها ويدها تحترق - تحترق في الجحيم الذي اضرمه بيدد ثم قذف بها فيه ؟ الا يشعر أنه مسئول عن مصيرها هذا ؟ بلى وإن تبعته لعظيمة وهبه غير مسئول فإن عليه واجبا لنفسه ، فلماذا يسمح لسميحه أن تعترض طريقه وتأخذ عليه متوجهه ؟ ما سميحة ؟ فتاة ؟ ومن أجلها يدع نفسه يشقى ؟ ومن أجلها يترك شوشو تعاني الغصص ؟

ومن أجلها يقف هو وشوشو متقابلين ولكنهما محرومان معذبان ؟ لا يفصلهما شيء غير ان أيديهما لا ترتفع ، وشفاهما لا تلتقي ، وأنفاسهما الحارة لا تبرد ؟ كلاهما يجب أن يصرع رغبته في الحياة ، كلاهما ينبغي أن يغيب - وهو حي جدا - في فراغ الموت المظلم - يجف ويذوي ويرفض الماء الذي يرويه ويقتات سم الألم ، وتذبل شوشو ويبيض شعرها الجميل المتهدل على جيدها الناصع المتألق

وتغور عيناها وتعمق الكهوف حولها وتنقلب تغريداًتها نعيبا وفتنة صوتها حشرجة  
لا سميحة تشاء هذا؟؟)

إنه تسليم لا تشويه أي سمة من سمات المقاومة والاعتراض ، تسليم يشبه  
تسليم مسلوب الإرادة أو الأموات الذين ليس بهم إرادة الحياة ، تلك الإرادة التي  
تجاهد وتكافح وتصارع لتحقيق وجودها حتى وإن لم يكمل جهادها بنجاح ، ففي  
فشلها – بعد الصراع والكفاح – إخراج لما كان يضطرب في النفس ، مع أنه يعلم أن  
خضوعه واستسلامه هذا لن يجني ثماره المرة هو فقط ، بل ستشاركه في هذا تلك  
النفس التي أحبها في إخلاص وقوة ( شوشو ) ، ونلاحظ هنا أن الانكسار  
في شخصية إبراهيم ألقى بظلاله على شخصية أخرى ، فلت يتحمل وحده عاقبة  
رجوعه هذا بل شوشو أيضا ، وإن كانت بنفسها شيئا من المقاومة إلا أنه استطاع  
أن يقنعها بنظرته إلى الأمور ، أو يطبعها بطبعه السلبي ، أو قد يكون تبرير مسلك  
إبراهيم هذا أنه لا يرى في الوجود ما يستدعي مثل هذا الجهاد والكفاح . ولكن إذا  
كان ذلك فهو شخصية مطموسة الملامح ليس لها أي لون أو تميز وتستحق –  
بحق – الرثاء .

وهذا الموقف – موقف إبراهيم – يستدعي سمة من سمات المؤلف وهي سمة  
السخرية ، فيسارع بها ليثري الموقف ، فيلوم إبراهيم نفسه على هذا التخائل  
والضعف فيقول : ( لأنني أنا ضعيف مهين كغيري من الناس الذين احتقرهم من  
أعماق قلبي ، لأنني لست من طراز بروميثيوس؟ لأنني لا أزال أنظر إلى الأشياء من  
وجهة شخصية أنانية؟ ) أنا ( دائما ، و ) أنا ( في كل شيء – بحسبي أن فزت  
منها بقبلة ! يا لها من نعمة ! وما أعظم بطولتي ! ثم أدعها تغرق في اللجة الطامية

التي دفعتها إليها ! أتركها تحترق في النار التي أوقدتها وعجزت عن إخمادها . كلا  
كلا لن يكون هذا ) .

وهذا لا يزيد عن كونه سخرية من نفسه فقط ، وليس رفضا لواقعه ، وهي هنا  
سلبية لا تدفعه إلى تبديل موقفه من الوجود ، بقدر ما تدفعه إلى الأكتار من تأمل  
مرارة وقنامة هذا الوجود والواقع .

وحينما يخبر الشيخ على زوجه ( نجية ) برغبة إبراهيم التزوج من شوشو  
ترفض بإباء حتى ولو ( ملأ حجرها ذهباً ) على حد قولها ، لأن هناك سميحة أما  
إذا شاء أن يتزوج سميحة فهي له بلا مهر وبلا قيد أو شرط .

وإن نظرنا إلى الأمور فهي مناسبة لأن يدخل إبراهيم في جهاد لينال شوشو  
لاسيما وإن الشيخ ( على ) وشوشو ، سوف يعاوناه في جهاده هذا ، ولكنه كما ترك  
( ماري ) من قبل ن ترك شوشو أيضا ن فهو لا يقدر على الصمود أو الصراع ، واخذ  
يبحث عن وجود آخر لا ندري ما سماته ولا أوصافه ... ولكن أين هذا الوجود الذي  
لا يقتضي من الإنسان الدخول في صراع وجهاد من أجل تحقيق هذا الوجود ؟

وعلى هروبه إلى الأقصر بأنه جرح في كبريائه ، وطعن في كرامته ، وتلك حجة  
ضعيفة جدا لا تبرر هروبه ، لأنه قبل أن تقول ( نجية ) كلمتها كان إبراهيم يوطن  
نفسه على الانسلاخ من الصراع ضد ( نجية ) أو ضد العادات والتقاليد ، فقد اتخذ  
إبراهيم من كلمة ( نجية ) ورفضها ستارا يداري به حقيقة نفسه ، لأنه ضعيف  
ومتخاذل أمام التزامه ومسئوليته لشوشو .

ويذهب إبراهيم إلى الأقصر ، وهناك يقابل ( ليلي ) وتنشأ علاقة حب بينهما  
ومن عجيب الأمر أنك تشعر بإبراهيم مختلف عن إبراهيم الذي كان مع شوشو

ذلك الذي نصح شوشو أن تدفن حبها وتنسى كل شيء ، إبراهيم الذي ترك شوشو لمجرد كلمة قالتها أختها ( سميحة ) أو كان يظن أن شوشو ستقدم إليه على صحن من ذهب ؟

ترى إبراهيم وهو مع ليلى شخصا مختلفا كل الاختلاف عنه عما كان مع شوشو ، أهوانفصام في الشخصية أم التناقض مع النفس أم أن إبراهيم مع ليلى قد استفاد من أخطاء إبراهيم مع شوشو ، اقرأ معي ما يقوله إبراهيم لليلى في صفحة ( ١٩٢ ) وقارن بينه وبين ما كان يقوله إبراهيم لشوشو : ( إنك تخجلين أن تطيعي رغباتك ، وليس خجلك لأنني معك وإني أرى ما تفعلين ، فلو كنت وحدك لما اجترأت أن تطلقني لنفك العنان وأن تفعلي ما يهتف به جسمك ، لأن كغيرك - مثلي ومثل الناس جميعا - تؤثرين أن توهمي نفسك أنك فوق الحياة ، وفوق دواعيها ، وإن كنت تعلمين في أعماق أعماق سريرتك أنك لست إلا مظهرًا ضئيلاً وإن كانت مقاومة منك لطبيعتها وسنننها الخالدة وأحكامها الميرمة التي لا مفر منها مجلبة للشقاء والألم . لماذا تحسين الخجل والعار من رغباتك الطبيعية ؟ ؟ لماذا تخفيها ؟ إن القوى المحبوسة في النفس تتطلب منفذا والجسم ينشد السرور واللذة ويتعذب من جراء صده وحرمانه ) .

وكل ما يستطيع إبراهيم عمله أن يحلم ... والحلم لديه تجسيد للمستحيل بينما الحلم هو دافع للإنسان أن يحاول تحقيق هذا الحلم وإبرازه للوجود ، الحلم مدد وشحن لطاقات . الإنسان لنحت الحلم من صخور المستحيل ، وجذبه إلى اودية الإمكان الخضراء ، وهذا يظهر لنا إبراهيم شخصية مسطحة ليس لها أي عمق ، شخصية هاربة دوما لا قدرة لها على خلق وجودها ، وكل ما تفعله أن تخلق

ولكن في الحلم وفي الخيال ، وليس هو بالشخصية الذاهلة عن ذاته ، ولكن يعيها ويعي هذا القصور ، وذلك الضعف الكائن في ذاته ، لذلك نراه يأسف على تلك النفس العاجزة .

ولكن أهذا العجز عن الصراع راجع إلى ضعف في الشخصية أم عن وعي كامل بحقيقة الوجود ، وان الإنسان سيان حقق ما يريد أم لم يحققه ، ففي النهاية كل الأضداد متساوية كما يقول الدكتور ( محمد مندور ) في كتابه ( نماذج بشرية ) في صفحة ( ٧٩ ) ، يقول : ( ولقد بلا إبراهيم الحياة وعضته بأنيابها العضل حتى أصبح يحذرهما في بقطة مستمرة فلا يستجيب لندائها أو يحاط به ) ، ولكن الدكتور ( مندور ) فاته إن إبراهيم رغمًا عنه يستجيب لنداء الحياة وهواتفها ولكن استجابة العاجز المسلوب الإرادة ، وإلاً لم خابله الحلم كما يقول لليلى في صفحة ( ١٩٣ ) :  
عصر يستطيع فيه أن يباشر حريرته التي لا تعتدي على حرية سواه ، عصر يستقطر فيه ويعتصر من الحياة كل متعها في جراءة وحرية ) .

فأنته ، ( ولكن كيف يكون ذلك ، أنرجع إلى الهمجية الأولى ؟ ) .

فقال : ( من قال ذلك ؟ كلا . ذلك كان عصرًا سخيًا ، ولم يكن الإنسان فيه يقدر حريرته أو يعرف قيمتها أو حدودها فكانت الحرية فوضى وكان هو لا يستحق التي لا يفهمها ولا يحترمها ولا يحسن الاستمتاع بها ، وعصرنا الحاضر أيضًا سخي ، لأن التقاليد الخاطئة تتحكم في العقل تحكما في الجسم ، ولأنه تنقصه الهمة والذكاء والرشد ، وإنما أحلم بعصر لا يستحي فيه الإنسان من نفسه ومن غرائزه المهذبة ومن مطالب هذه الغرائز ، لا يخجل ان يرمي طربوشه إذا شاء ذلك ويمشي عاري الراس إذا أحس ان ذلك أكفل بإشعاره بالغبطة والفرح ، ولا أن يثب

في الطرقات ويرقص في الشارع أو يجلس بثيابه الأنيقة على الحجارة أو التراب إذا اشتهى هذا ، لأن الوثب والرقص والجلوس على التراب لا يضير أحدًا ) .

ومواقف إبراهيم من الوجود ومن الحياة – هذا العجز الإرادي – يتضح حينما يتذكر أمه في لحظات مرضه ، وإيمانه أن الإنسان يستطيع أن ينتصر على المرض ليس من خلال الاصغاء إلى أوامر طبيبه وإنما بالاستخفاف به وبالاستهانة وبعدم الاكتراث ، يقول في صفحة ( ٢٢٦ ) : ( ولو أن أمه كانت هي المريضة لغلبت المرض بقدرتها المدهشة على الاستخفاف به . أو إذا شئت فقل بعجزها عن إدراك حقيقة ومدى خطورته – لا بل بقوة الاستخفاف بالاستهانة ، بالإيمان القوي الذي يجعل النفس تتلقي كل ما يصيبها باطمئنان وابتسام وقلة مبالاة بما يكون . وثيقة بأن المصير خير على التحقيق ، وانه لا موجب للاكتراث ) .

وهذا يفسر الكثير من تصرفات إبراهيم ومواقفه ، فإن ما حدث في الوجود كان لا بد حادث ، سواء اعترض أم لم يعترض فما الداعي إلى بذل الجهد أو الصراع أو الكفاح ... ولكن نسى إبراهيم أن الإنسان لا يستطيع أن يعلم الغيب . وهذا الجهل من الإنسان يدفعه إلى أن يصارع فإذا تغيرت الأمور وسارت على وفق ما ينبغي من خلال جهاده فقد نجح ، أما إذا لم تسايره الأمور وخاب مسعاه فقد عمل ما عليه .

وكما ترك إبراهيم ( ماري ) وترك ( شوشو ) ترك أيضا ( ليلي ) . فحينما قرأت ليلي تلك الرسائل التي أرسلتها شوشو من خلال حديثها مع الشيخ ( على ) حينما حضر هو والدكتور ( محمود ) إلى الأقصر للاطمئنان على إبراهيم ، عرفت ما بين إبراهيم وشوشو ، فآثرت أن تخلي المكان لشوشو ، مع أن في أحشائها طفلا من

غيراهيم ،ولم ترد أنتخبره بذلك كي لا يكون بمثابة إجبار منها له كي يتزوج بها ،ولكن كيفف لليلي أن تترك إبراهيم بدون سبب ، حتى بالنسبة له ؟  
فاختلقت له أن لها ماضيا مشينا ، فآثر الفراق بدون إبداء أي اعتراض  
أو تمسك بليلي ، وتنتهي قصة إبراهيم مع ليلي كما انتهت من قبل مع ( ماري )  
ومع ( شوشو) التي تزوجت - فيما بعد - من الدكتور ( محمود ) ، ويبقى إبراهيم  
وحيدا منفردًا .